مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: مارتن لوثر والمشكلة اليهودية
اسم الكاتب: أ.م.د. مهدية صالح حسن، م.م. ديانا حسين علي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/7147
تاريخ الاسترداد: 2025/06/16 20:01 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مارتن لوثر والمشكلة اليهودية

أ.م.د.مهدية صالح حسن(*)
م.م. ديانا حسين علي(**)
dianatwilight7@yahoo.com Mahdia.hasan@yahoo.com

الملخص:
احتلت المشكلة اليهودية في الفكر الغربي مكانة متميزة لكونها مشكلة استمر وجودها في التاريخ الاوروبي، ابتداء من قيام القائد الروماني (تيطس) في القرن الاول ميلادي بطرد اليهود من القدس وتدمير بيت المقدس، بعد هذا التاريخ بالتحديد بدأ الوجود اليهودي في اوروبا، اذ حمل اليهود القادمون لاوروبا معهم رغبة باعادة امجاد الماضي ورغبة بتحقيق الوعود الدينية الموجودة في ثنايا كتبهم المقدسة، هذه الرغبة دفعت اليهود بالانشغال بمسالة نقاء عرقهم والحفاظ على سلالتهم المقدسة على وفق نصوص كتبهم المقدسة التي تحدثت عن كونهم الشعب المختار والمفضل عند الله، ما دفعهم ولتحقيق هذه الرغبة بالانعزال واقصاء الاخرين وعدم الاندماج مع المجتمعات التي حلوا بها، الامر الذي نتج عنه ان تعاملت اوروبا ومن ثم اميركا معهم بعدهم كائناً غريباً لا يريد ان يندمج في المجتمع الامر الذي شكل احد اسباب حملات الطرد بل وحتى التقتيل، فلطالما نسبت لهذا المجتمع المنغلق العديد من الجرائم بل وكان ينظر اليهم باعتبارهم "الفأل السيء الذي جلب غضب الرب المتمثل بالكوارث

(*) كلية العلوم السياسية/جامعة بغداد.
(**) كلية العلوم السياسية/جامعة بغداد.

وبالطاعون الذي كان يجتاح اوروبا بين الحين والآخر ما عرضهم لعمليات تقتيل واقصاء بين الحين والآخر" .

كان لـ(لوثر) مواقف وافكار متناقضة حول اليهود، لكل موقف منها دوافع واسباب، هذه المواقف والافكار تم تفسيرها وتأويلها بشكل افرز تيارات فكرية متناقضة وجدت في افكار لوثر سنداً امكن لها لاحقا ان تعتبرها حد الجذور الفكرية التي انطلقت منها فيما يخص موقفها وافكارها حول اليهود.

المقدمة:

احتلت المشكلة اليهودية في الفكر الغربي مكانة متميزة لكونها مشكلة استمر وجودها في التاريخ الاوروبي، ابتداءا من قيام القائد الروماني (تيطس) في القرن الاول ميلادي بطرد اليهود من القدس وتدمير بيت المقدس، بعد هذا التاريخ بالتحديد بدأ الوجود اليهودي في اوروبا، اذ حمل اليهود القادمون لاوروبا معهم رغبة باعادة امجاد الماضي ورغبة بتحقيق الوعود الدينية الموجودة في ثنايا كتبهم المقدسة، هذه الرغبة دفعت اليهود بالانشغال بمسالة نقاء عرقهم والحفاظ على سلالتهم المقدسة على وفق نصوص كتبهم المقدسة التي تحدثت عن كونهم الشعب المختار والمفضل عند الله، ما دفعهم ولتحقيق هذه الرغبة بالانعزال واقصاء الاخرين وعدم الاندماج مع المجتمعات التي حلوا بها، الامر الذي نتج عنه ان تعاملت اوروبا ومن ثم اميركا معهم بعدهم كائن غريب لا يريد ان يندمج في المجتمع الامر الذي شكل احد اسباب حملات الطرد بل وحتى التقتيل، فلطالما نسبت لهذا المجتمع المنغلق العديد من الجرائم بل وكان ينظر اليهم باعتبارهم "الفأل السيء الذي جلب غضب الرب المتمثل بالكوارث وبالطاعون الذي كان يجتاح اوروبا بين الحين والآخر ما عرضهم لعمليات تقتيل واقصاء بين الحين والآخر" .

كان لـ(لوثر) مواقف وافكار متناقضة حول اليهود، لكل موقف منها دوافع واسباب، هذه المواقف والافكار تم تفسيرها وتأويلها بشكل افرز تيارات فكرية متناقضة وجدت في افكار

لوثر سنداً امكن لها لاحقا ان تعتبره احد الجذور الفكرية التي انطلقت منها فيما يخص موقفها وافكارها حول اليهود.

فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها ان المواقف والافكار المتباينة لـ(مارتن لوثر) حول المشكلة اليهودية في اوروبا بشكل عام وحول الوجود اليهودي في المجتمعات الاوروبية بشكل خاص، كان دافعه من هذه الآراء المتباينة هو كسب اليهود الى المسيحية وبالتحديد الى المذهب البروتستانتي اللوثري، الا ان افكار (لوثر) المتعلقة باليهود قد شكلت في وقت لاحق نواة لمذاهب سياسية استطاعت ان توظف سياسياً افكار (لوثر) بعدها السند الفكري الذي انطلقت منه.

اشكالية البحث

يطرح البحث عدة تساؤولات التي سيتم الاجابة عنها في ثنايا هذا البحث ويمكن اجمال هذه التساؤلات كالاتي:

١-هل يمكن عد افكار لوثر المتناقضة من اليهود هي شكل من اشكال النضوج الفكري ام انها ردة فعل لاحداث واجهت حركة الاصلاح؟.

٢- الكيفية التي تطورت فيها افكار (لوثر) حول اليهود وبالتحديد خارج البيئة الألمانية .

٣- مدى جدية الحديث عن ارتباط مباشر بين افكار (مارتن لوثر) وعدد من التيارات السياسية سواء الموالية ام المعادية لليهود .

٤- هل كانت افكار (لوثر) حول اليهود سواء المعادية ام الموالية بدعاً في البيئة الاوروبية.

منهجية البحث

اعتمد البحث على مناهج اساسية للتحقق من صحة الفرضية المطروحة وهما المنهج التاريخي للتطرق الى سلسلة الاحداث التاريخية التي صاحبت الوجود اليهودي في العالم المسيحي، كما اعتمدت على منهج تحليل الخطاب في طرحها لافكار (مارتن لوثر) المتعلقة باليهود، فضلا

عن الاستعانة احياناً بالمنهج المقارن لبيان مدى التشابه بين افكار (مارتن لوثر) وغيره من المصلحين فيما يخص المشكلة اليهودية في اوروبا سواء في عهد الاصلاح في القرن السادس عشر ام في حقب لاحقة.

هيكلية البحث

تضمن البحث مبحثين يستعرض المبحث الاول موقف(مارتن لوثر) الموالي لليهود واثر افكاره في الفكر المسيحي المتصهين لا سيما في الولايات المتحدة الاميركية ، اما المبحث الثاني فتضمن عرض لافكار (مارتن لوثر) المعادية لليهود والتي شكلت فيما بعد نواة لابرز التيارات المعادية للسامية متمثلة بالحزب النازي الالماني.

المبحث الاول

مارتن لوثر وموقفه المساند لليهود

يستعرض هذا المبحث اهم الافكار التي طرحها (لوثر) حول اليهود وما عرف بالمشكلة اليهودية، وان كانت افكاره بهذا الشأن متناقضة بشكل غريب، الا انها ستشكل لاحقاً حجر زاوية لظهور العديد من الحركات التي تعاملت مع المشكلة اليهودية ، فكل طرح من طروحاته الفكرية سيفرز تياراً فكرياً متأثرا بآرائه

المطلب الاول جذور الفكر الصهيوني المسيحي في فكر مارتن لوثر

ترجع جذور الصهيونية المسيحية للعقيدة القدرية،التي ترجع بدورها الى الفكر الرؤيوي اليهودي الذي يؤمن ان العالم بالآمه وعذابه وإجهاض العدالة صار "في قبضة الشيطان" وانهلا أمل في صلاحه الا بتدخل الهي مباشر والذي سيكون في نهاية الزمان، هذا الفكر كان من إفرازات السبي البابلي، اذ تمثل اسفار النبي دانيال عدة رؤى وتنبؤات عن آخر الزمان، اما العهد الجديد فلا يوجد فيه اساس للفكر الصهيوني المسيحي، الا ان هذا الفكر الرؤيوي انتعش في نهاية القرون الوسطى وتحولت (الكبالا) اليهودية حاملة لهذا الصنف من الفكر اللاهوتي وبدأ أتباعها بالتأثير بالإنسانيين ولعل ابرز من تأثر بالفكر اللاهوتي (جون روشلان)

زميل (لوثر)، والذي شجعه على اعلاء شأن دراسة العهد القديم، وهذا ما فعله الإصلاح برفع شأن العهد القديم وربطه مع العهد الجديد كمرجع أول للإيمان[١].

ونتج عن ذلك انأعطت حركة الإصلاح الديني للغة العبرية أهمية كبيرة بعدها اللغة التي اوحى الله بها كتابه المقدس هذا الامر كان له دور في تطور الصهيونية المسيحية في مرحلة ما بعد الاصلاح في حين حتى ذلك الوقت أي وقت الاصلاح كانت الكنيسة الكاثوليكية قد اعطت الاهمية الاكبر للاتينية، كما عدت ان دراسة العبرية او اليونانية تسلية للهراطقة، اما في عصر النهضة والاصلاح فاصبحت معرفة العبرية جزءاً من الثقافة الاوروبية العامة، فحركة الاصلاح جعلتها جزءاً من المنهج الدراسي للاهوت ذلك لان التمسك بحرفية النص المقدس توجب تعلم اللغة العبرية من اجل الاطلاع على العهد القديم بلغته الاصلية[٢].

اقترن الاعجاب باللغة العبرية بالاعجاب الكبير بالمباديء اليهودية، والاعجاب بماضي اليهود كما يصوره العهد القديم، وكان نتيجة ذلك احترام اليهودية المعاصرة والتسامح الذي اتصفت به الاقاليم البروتستانتيه تجاه اليهود[٣]،وذلك كله بتأثير (لوثر) الذي عمل على تهيئة الاوروبيين بالقبول بعقائد جديدة تخالف تلك التي كانت تعلمها الكنيسة الكاثوليكية، واعادة احياء بعض العقائد القديمة التي غيبها الزمن مثل الشعب المختار، و ارض الميعاد، فـ(لوثر) كان مسموع الكلام وكلامه مقبول مطاع من قبل اتباعه[٤].

لذا ما ان قام(لوثر) بترجمة العهد القديم حتى تشجع البروتستانت على دراسته والتعرف على تاريخ وقصص وتقاليد اليهود في أرض فلسطين فلقد عد هؤلاء ان العهد القديم هو المرجع الوحيد لمعرفة تاريخ الشرق الاوسط، وان تاريخ فلسطين يقتصر فقط على مراحل وجود اليهود فيها، فصار العهد القديم هو التاريخ الوحيد للشرق الاوسط[٥].

كما صارت التوراة المصدر الاساس لتاريخ اليهود، المكون من اساطير ونبوءات وبذلك اصبحت معتقدات وقوانين العبرانيين امرا مألوفاً في الفكر الغربي، بعد ان اصبحت عنصراً اساسياً في حركة الإصلاح الديني[٦]، فتم قبول اغلب ما ورد في التوراة من اساطير ونبوءات ولم تخضع للتساؤل عن مدى صدقها وحقيقة ما ورد فيها[٧].

كما ادت القراءة الواسعة للعهد القديم الى اثارةفضول اوروبا حول كل ما يتعلق باليهود وانبيائهم وديانتهم،كما عملت دعوة (لوثر) الى حسن التعامل مع اليهود واحترامهم والتي استمرت لاكثر من عشرين عاماًلا سيما انه يملكالتأثير الكبير على اتباعه، فصار العهد القديم مصدر الهام للبروتستانت[٨] .

وعلى الرغم من انقلاب (لوثر) على اليهود في وقت لاحق، رضخ البروتستانت لمهادنة اليهود واستمروا بالدعوة لدراسة العهد القديم واعتماده كأساس للايمان المسيحي البروتستانتي، هذا الامر اعطى الفرصة لليهود ان يعلنوا عن انفسهم ومنذ القرن السادس عشر كأمة وان يتعاونوا مع البروتستانت باعلان اساطيرهم التوراتيه الثلاث، الشعب المختار، البعث اليهودي، وارض الميعاد[٩].

وهذه الاساطير التوراتيه الثلاث كان (لوثر) قد روج لها في كتابه "عيسى المسيح ولد يهودياً"، اذ يؤكد في هذا الكتاب ان نسب اليهود يعود الى المسيح وهم بذلك يحق لهم التفاخر بنسبهم الذي ترتب عليه جملة من الامور منها: انهم الشعب المختار والمفضلين على سائر الامم، وهم ابناء الرب شأنهم شأن المسيح الذي هو (ابن الله)، وكونهم من اهل المسيح وابناء عمومته فلهم ذمة وحرمة خاصة تقتضي دعمهم وخدمتهم[١٠].

ويمضي (لوثر) من خلال هذا الكتاب بالتاكيد بأيمانه بان المسيح ولد يهودياً من العذراء، ويعبر عن امله في ان يكسب ود اليهود الى جانب الايمان المسيحي، ويهاجم البابوات، والحمقى من الاساقفة والرهبان الذين يسيئون معاملة اليهود هذه المعاملة التي جعلت من اليهودي يفضل ان يصبح (خنزيرا) على ان يعمد مسيحيًا[١١] .

فرجال الدين وبسبب تعاملهم السيء مع اليهود، اذ كانوا يعاملونهم كالكلاب اكثر من كونهم بشراً ويسخرون من معتقداتهم ويستولون على ممتلكاتهم، وحتى عندما يعمد احدهم فان رجال الدين وبسبب سوء تصرفاتهم لا يجعلون من اليهودي يرى شيئا من كنوز ورحمات المسيحية، بل يرى مجرد خرافات، كما انهم لا يسمعون شي عن الكتاب المقدس او عن المسيح من الرهبان الذين عمدوهم[١٢].

وهذه المعاملة يجب ان تتغير والسبب هو ان نسبهم الى المسيح يقتضي ضرورة معاملتهم بلطف واحسان، فلليهود الحق بالتفاخر بهذا النسب اما المسيحيون فهم مجرد انسباء واغراب، هذه القرابة من السيد المسيح هي هبة من الله والذي جعلهم يتفوقون على غيرهم من الامم، اما الاغراب فلا يوجد بينهم لا انبياء ولا حواريين ولا آباء مقدسين، فالله اعطى كلماته ليعقوب وقوانينه وانظمته وشرائعه لاسرائيل(١٣) وهو لم يفعل ذلك مع اية امة اخرى ولم يكشف عن شريعته الا لليهود فقط(١٤).

ف(لوثر) في هذا الطرح يجد في اليهود ورثة الدم الحقيقي للاسرائيليين التوراتيين وهم اقرباء وعشيرة المسيح(١٥)، فهم والمسيح اصل واحد، وهذا يجعلهم ابناء الله الذي انزل من خلالهم حكمته وتعاليمه، وما المسيحيون الا الغرباء الذين يجب ان يرضوا بان يكونوا "كالكلاب التي تاكل من فتاة مائدة سيدها(١٦).

ان (ابناء الله) هؤلاء لم يرتكبوا مخالفة على وفق راي (لوثر) سوى انهم لم يؤمنوا بالمسيح كرجل و(آله) حقيقي والسبيل لجعلهم يؤمنون به هو بجعلهم اولاً يتعرفون عليه بعده المسيح الحقيقي الذي ينتظروه ومن ثم يتعرفون اليه ك(آله)، فاليهود ضلوا الطريق لمدة طويلة جداً وهذا يتطلب معاملتهم بلطف وتعليمهم الكتاب المقدس، فهذا الاسلوب اللين في التعامل قد يدفع بعضهم الى الاهتداء اما الطريق الآخر المتمثل بمعاملتهم بقسوة وازدراءهم واتهامهم بدم المسيح فتلك الطرائق ستؤدي الى نفورهم وعدم هدايتهم، وهذا امر طبيعي نتيجة التعامل معهم كالكلاب، فهم يشعرون وبلا شك وبشكل مؤلم بوضعهم المزري(١٧).

هذا الوضع المزري الذي يعيشون فيههو اكبر من أي ألم او عذاب سبق ان احتملوه علىالرغم من انهم لا يشيرون الى هذه التجاوزات الكبيرة والاهانات التي توجب عليهم ان يحتملوها، فهم لا يرون الذنب الذي ارتكبوه ليستحقوا هذا العقاب، فهم لا يشعرون بانهم ارتكبوا خطيئة كبيرة بصلب المسيح، فلكم ارتكبوا من المعاصي في السابق التي تعد اكبر من صلب المسيح، وعاقبهم الله بشكل اقل قسوة مما يتعرضون له من إساءة في وقتهم الحالي(١٨).

فالاطلاع على كتاب (لوثر) "عيسى المسيح ولد يهودياً" ينبئ ان الغرض النهائي لـ(لوثر) في دعوته بلين ولطف المعاملة لليهود هو لكسبهم الى المسيحية لانه رأى ان المعاملة السيئة تبعد أية محاولة لاصلاحهم، فالغرض من معاملتهم بالحسنى هو لكي يشهدوا روح العقيدة المسيحية ومن ثم الاهتداء لها(١٩) .

فـ(لوثر) في كتابه هذا خلص اليهود من اللوم على صلب المسيح وبالتحديد اليهود المعاصرين له، وقدم لهم هذا دعماً داخل المجتمع الاوروبي، كما خلص اليهود من عمليات التعميد بالقوة التي كانت تمارس عليهم (٢٠).

هذا الدعم الذي وفره هذا الكتاب لليهود ادى الى ان يحظى بمكانة لديهم لذا كان من الطبيعي ان يسهم اليهود بنشر هذا الكتاب والترويج له بقوة ونشره في انحاء اوروبا،ما ساعد على ترويج الافكار الواردة فيه، لقد حافظ هذا الكتاب على قوة تأثيره على مدى قرون حتى بات في يومنا الحاضر المستند الاول والركيزة الاساسية التي ينطلق منها المحافظون الجدد في رسم معتقداتهم وسياساتهم، "فأسهم هذا الكتاب في جعل كلمة اليهود هي العليا وكلمة غيرهم في المجتمعات الغربية هي السفلى وأسهم في اخراج اليهود من شتاتهم ومن اضطهاد المسيحيين لهم لانهم الشعب المختار صاحب ارض الميعاد كما اشار الى ذلك (لوثر)(٢١) ".

فاهتمام البروتستانت باليهود والفرصة التي أتاحوها للنهضة اليهودية القومية ما كانت الا لاعتقاد البروتستانت بالدور الذي سيلعبه اليهود من خلال عودتهم الى فلسطين، في النزول الثاني للمسيح، ومن هذا الاعتقاد بدأت الصهيونيةغير اليهودية كعنصر مهم في اللاهوت البروتستانتي(٢٢).

وهذه الافكار لم يكن لها مكان في الإيمان الكاثولكي فعند دخول الصليبيين لبيت المقدس عام ١٠٩٩م منعوا اليهود من دخول المدينة المقدسة، فالبروتستانت هم من اخترعوا وطوروا هذه الفكرة اللاهوتية المتضمنة تحويل اليهود للمسيحية وعودتهم لفلسطين شرطاً لعودة المسيح الثانية(٢٣).

اما الكاثوليك فلطالما عدوا ان اليهود كأمة قد انتهى شأنها منذ ان طردهم الله من فلسطين الى بابل اما حديث العودة في العهد الجديد فالمقصود عودتهم من بابل الى فلسطين، والتي تحققت فعلا على وفق وجهة نظرهم على يد الملك الفارسي (قورش) الذي اعاد اليهود من جديد الى القدس، هذه الافكار الكاثوليكية تستند الى راي القديس(اوغسطين) الذي اعتبر ان القدس عاصمة العهد الجديد(٢٤)،وان الحديث عن الالفية السعيدة(٢٥) ماهو الا الحالة الروحية التي مرت بها الكنيسة بعد موت المسيح وبعثه، فرفض القديس (اوغسطين) النبوءات كلها عن عودة اليهود لفلسطين كشرط عودة المسيح الثانية(٢٦).

بل ان الكاثوليك عدوا ان طرد اليهود الثاني الذي تم على يد الملك الروماني (تيطس) ماهو الا عقاباً لانكارهم عيسى المسيح ،وهذا الطرد قد انهى ما يعرف بـ(الامة اليهودية) الى الابد فهم كمجموعة قومية لم يعد لهم وجود اما كأفراد فيستطيع الفرد اليهودي الحصول على الخلاص بارتداده للمسيحية لذا التزمت الكنيسة بالتفسيرات المجازية للكتاب المقدس ومنها ان الحديث عن مستقبل مشرق (لاسرائيل) فكان تفسيره بان المقصود منه هو اسرائيل الجديدة أي الكنيسة المسيحية وهذه التفسيرات مستقاة بالدرجة الاولى من فكر القديس(اوغسطين) والذي ظل سائدا حتى القرن السادس عشر(٢٧).

لكن ظهور (لوثر) والبروتستانتيه الذين كان لهم دور رئيس في وضع اليهود كأمة على خارطة العالم، والاحداث من جديد بعد ان كانوا منسيين في صفحات التاريخ لعهود طويلة(٢٨).

وان دعوة (لوثر) لحسن معاملة اليهود والتمسك بمرجعية الكتاب المقدس بعهديه قد وجدت لها صدى وتأثيراً في فكر (كالفن) الذي امد دعوة (لوثر) بمفاهيم لاهوتيه غاية في الاهمية، فلقد اكمل (كالفن) دعوة (لوثر) بالتمسك بالعهدين وبحرفية التفسير وهذا كان مؤشراً لظهور نفس يهودي في الكالفنية فدعوته في باطنها اعتمدت الشريعة التوراتية ومهد بذلك لنشوء عشرات الفرق البروتستانتيه، وقد ظهر في هذه الفرق من كان نصيراً للصهيونية واليهودية(٢٩).

جوبهت الافكار الخاصة ببعث الشعب اليهودي والالفية السعيدة برفض شديد في البداية فتم حرق كل من تحدث عن الشعب المختار فاضطهدت هذه الجماعات حتى في المناطق البروتستانتيه، مثل هولندا، سويسرا، اما انكلترا فلقد رفضت الفكرة في البداية الا انها بعد مدة حظيت باحترام الاوساط الدينية وبدأ الحديث بشكل صريح عن البعث اليهودي بين اوساط البرلمانيين الانكليز ورجال القانون، الا ان هذه الافكار عن عودة اليهود واصلهم المنحدر من يعقوب اثار حفيظة الملك (جيمس) فتراجعت هذه الافكار في المجتمع الانكليزي ولم تظهر الا في عهد الطهوريين[٣٠].

مثل الطهوريين اكثر الفرق البروتستانتية تأييداً لهذا الفكر المتطرف، فلطالما طالب رجال الدين الطهوريون حكوماتهم الانكليزية بالقيام بنقل اليهود الى الارض التي وعدهم الله اياها، فتحولت فلسطين في فكر الطهوريين من الارض التي تحوي القبر المقدس للمسيح الى ارض يهودية ومن ثم تعبر عن الايمان الذي ربط بين عودة المسيح وعودة اليهود الى فلسطين[٣١].

وهذه الدعوة الطهورية باعادة اليهود الى فلسطين لم تجد ركيزتها الاساسية الا على يد (اوليفر كروميل) الذي تراس المحفل الطهوري لعشر سنوات فدعا عام ١٦٥٥م الى الغاء قانون الملك (ادوارد) القاضي بنفي اليهود من انكلترا والذي صدر عام ١٢٩٠ م، كما طالب بالسماح لهم بالعودة الى انكلترا[٣٢].

وبذلك اصبحت الصهيونية مرئية في انكلترا ووصلت الى مستويات جديدة مع الذين يمكن عدهم عمليا يهود، اذ اقترحوا ان يتم تحويل عيد الرب الى يوم السبت وان تتخذ انكلترا من العهد القديم دستوراً لها، وهذه الميول اليهودية التي ابتدأت في المانيا مع البروتستانتيه ومع (لوثر) عام ١٥٢٣م بدأت تمد لها جذوراً في انكلترا الانجليكانية فبدأت النخب الانكليزية تتسأل الم يكن المسيح يهودياً[٣٣].

ولكن يجب التنبه الى مسألة غاية في الاهمية وهي ان اظهار الحب للشعب المختار سواء من المصلحين الاوائل ام اتباعهم لاحقاً، لم يكن حباً نابعاً من قلقهم واهتمامهم بامر اليهود بقدر ماهو اهتمام بالدور الذي سيلعبه اليهود في خطة الله النهائية للكون، فلقد ظل

ارتدادهم للمسيحية هو الهدف النهائي، وهنا نذكر دعوة (السير فنش) القانوني الانكليزي اليهود الى التوبة لكي يجمع الله شتاتهم من جديد، فالصهيونية المسيحية كانت تحوي عناصر معادية للسامية والتي ظلت عنصراً اساسياً في مبادئها[٣٤]، لذا سعى الطهوريون الى تحقيق نبوءات العهد القديم باعادة اليهود الى ارض الميعاد فهم احفاد الشعب المختار لذا كثرت المنشورات التي تتحدث عن ذلك[٣٥] .

كما ان الاتجاه العام لدى الطهوريين كان يرمي الى احلال العادات اليهودية محل المسيحية وبذلك دخل يهوه (الاله اليهودي) بقوة للفكر الانكليزي على المستويات السياسية والاقتصادية والأدبية، اذ اصبحت فلسطين في الذاكرة المسيحية تجسد وطن اليهود على وفق النبوءة التوراتيه[٣٦].

استطاعت القدرية ان تنتظم في التراث اللاهوتي للمسيحية البروتستانتيه، فصارت انكلترا مركز هذه النزعة التي اصبح لها نفوذ سياسي بعد عام ١٨٠٠م وابرز شخصياتها (لويس واي) الذي اسس جمعية للترويج للصهيونية المسيحية وعودة اليهود لفلسطين قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول بتسعين عاماً[٣٧].

في عام١٨٣٩م نشر اللورد (انطوني اشلي كوبر) تشجيعاً لليهود كلهم بالعودة لفلسطين وعارض فكرة اندماجهم مع المجتمعات التي يعيشون فيها على اساس انهم سيظلون غرباء لانهم سيلعبون دوراً رئيساً في الخطة الآلهية بعودة المسيح، فالمسيح لن يعود الى الارض الا اذا رجع اليهود لفلسطين[٣٨]، كما كان اللورد (شافنتزبري) من اشد المتحمسين لعودة اليهود لفلسطين الا ان دافعه كان هو للتخلص منهم ولم يكن هو الوحيد الذي دفعه عداؤه لهم الى تبني افكار صهيونية بل ان (بلفور) صاحب الوعد المشهور باقامة وطن لهم في فلسطين من اتباع هذا التوجه اذ استمرت لقاءاته بـ(تيودور هرتزل) (ابو الصهيونية) لحين الوصول الى رؤى مشتركة تخدم الطرفين باقامة وطن يهودي في فلسطين[٣٩].

وتصدرت بريطانيا لجهود اعادة اليهود لفلسطين منذ القرن التاسع عشر، فهذه الدولة التي كانت تسعى لخلقها ستكون صنيعتهم وستمنحهم الصدارة في الشرق الاوسط وستكون كمقر مراقبة لعملية التوسع والسيطرة على اعدائهم والتصدي لهم عند الضرورة(٤٠).

كما ان تدفق اليهود من اوروبا الشرقية لانكلترا لم ينظر اليه الساسة الانكليز بارتياح خشية انعكاساتها السلبية على الاقتصاد الانكليزي ، فكان تبني المشروع الصهيوني طريقة لتحويل هذه الهجرة من بريطانيا الى فلسطين(٤١).

ومما سبق نلحظ كيف اسهم التقاء المصالح البريطانية وطموحها بالتوسع بالشرق مع الصهيوينة المسيحية التي يعود لها الفضل في انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، اذ تبنت الصهيوينة المسيحية هذه الفكرة قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول بثلاثة قرون وبتأثير الافكار البروتستانتيه التي تعود الى افكار المصلحين الاوائل وفي مقدمتهم (لوثر)في القرن السادس عشر.

المطلب الثاني: اثر افكار مارتن لوثر في الفكر الاميركي المتصهين

هاجرت مجموعات من الطهوريين بعد تعرضهم للاضطهاد في انكلترا الى العالم الجديد، وكان ذلك بين عامي (١٦٠٧-١٦٠٩) وبالتحديد الى مستعمرة بلتيموث، وجاءت هذه المجموعات الطهورية حاملة تراثاً (مسيحياً يهودياً) لا يستهان به فكانت مهمتهم وعلى وفق هذا التراث هو العمل على نشر الافكار التي يحملونها في الارض الجديدة واقامة مملكة الله اما ابرز عناوين هذا التراث فكانت(٤٢):

-تقديس التوراة والايمان بكل ما ورد فيه.

- اليهود مشعل النور الذي قاد البشرية الى درب الحضارة .

-التطلع بشوق لحلول العهد الالفي السعيد .

-الاعتقاد بالمجيء الثاني للمسيح .

وبذلك دخلت التوراة الولايات المتحدة منذ تأسيسها وبشكل طبيعي مع اوائل المهاجرين وصارت له مكانة خاصة في التراث المسيحي، واصبحت ارض العالم الجديد بالنسبة لهم أرض

كنعان الجديدة وشبهوا انفسهم بالعبرانيين القدماء الذين فروا من فرعون وبالنسبة لهم كان الملك (جيمس الاول) فهربوا من ارض مصر (انكلترا) بحثاً عن ارض الميعاد الجديدة التي اقاموا فيها مستوطناتهم وتحدثوا فيها باللغة العبرية بسهولة [٤٣].

أطلق هؤلاء الطهوريون على ابنائهم المولودين في الارض الجديدة اسماء عبرية كذلك على مستوطناتهم كما فرضوا تعلم اللغة العبرية[٤٤]، فكانت اللغة العبرية من ضمن المواد الاجبارية في جامعة (هارفارد) التي انشئت عام ١٦٣٦م، فلم يكن يتم قبول الطالب فيها الا اذا كان قادراً على ترجمة النص الاصلي للعهد القديم الى اللاتينية [٤٥]

وبذلك سيطرت الروح اليهودية على الولايات المتحدة باكراً، فطبيعة قيام ونشوء الولايات المتحدة ساعدت هذه الروح على التغلغل والانتشار كون اغلب المهاجرين هم من الطهوريين الحاملين في داخلهم تقبلا لفكرة التهويد او دمج اليهود، ومن ثم اعادتهم للمسيحية[٤٦] .

خلال الحرب الاهلية الاميركية استخدمت المواعظ كلمة (الشعب المختار) في اشارة الى الانكلوساكسون الذين اختارهم الله لتهيئة العالم للقدوم الثاني للمسيح، اول نموذج اميركي للصهيونية المسيحية هو القس (وليام بلاكستون)[٤٧]، الذي دعا في كتابه (المسيح آت) الصادر ١٨٧٨م الى عودة اليهود لفلسطين وربط بين عودتهم لفلسطين والعودة الثانية للمسيح وبدأ يمارس ضغوطه السياسية لتنفيذ رؤيته التي صارت مقبولة لدى بعض الطوائف البروتستانتيه، وقد حث (بلاكستون) الرئيس الاميركي (بنيامين هاريسون) على الدعوة لانشاء دولة يهودية[٤٨]، اذ عمل (بلاكستون) على جمع تواقيع (٤١٣) شخصية من كبار سادة المجتمع الاميركي وقدمها فيعريضة للرئيس الاميركي طالباً فيها بالتدخل لاعادة اليهود الى فلسطين[٤٩].

كما ربط (بلاكستون) في هذه المذكرة بين عودة اليهود والمكاسب السياسية للولايات المتحدة، اذعد ان ذلك سيكون الحل الامثل لمشكلة المهاجرين اليهود القادمين الى اميركا من

روسيا والذي سبب تبرم حكومة الولايات المتحدة من اعدادهم التي بدأت تشكل عبئاً عليها وعلى الاقتصاد الاميركي[٥٠].

انفق (بلاكستون) الملايين للتبشير بعودة اليهود وتزعم حملات لمصلحة اليهود وعودتهم قبل ظهور الحركة الصهيونية السياسية الحديثة بعشرات السنين، كما انشأ في شيكاغو منظمة اسماها (البعثة العبرية نيابة عن اسرائيل) عملت لعودة اليهود لفلسطين، ومازالت تعمل حتى يومنا تحت اسم (الزمالة اليسوعية الاميركية)، فبعد زيارته لفلسطين قدم حلاً لمشكلة اليهود الروس وهو الهجرة الى فلسطين، واستمر (بلاكستون) بعمله لنشر رسالته الصهيونية المسيحية حتى وفاته[٥١].

نلحظ كيف توغلت المفاهيم حول نبوءات الكتاب المقدس في وجدان الشعب الاميركي منذ القرن التاسع عشر، كما تم ربط السياسة بالدين وهو امر زرعه اليهود في الفكر الاميركي ومن خلاله ظهرت هذه الجماعات الانجيلية التوراتية او الصهيونية المسيحية[٥٢].

وقد وصل تأثير هؤلاء الى الساسة الاميركان، فلقد كان الرئيس الاميركي (وودرو ولسن) وبتأثير المحيطين به من الصهاينة المسيحيين اول من صادق على وعد بلفور، على الرغم من ان قراره كان نابعاً من ايمان شخصي فهو ابن قس بروتستانتي انجيلي لم يكن قراره نابع من اعتبارات سياسية فقط وانما كان صهيونياً ملما بقضايا الصهيونية مدركاً لمضامينها في فلسطين، اما الرئيس (تيودور روزفلت) فعلى الرغم من تعاطفه مع اليهود الهاربين من جحيم النازية الا انه لم يهتم او يعطي وعوداً للصهيونية فهو لم يكن متأكداً من المدى الذي يربط مصالح اميركا بالصهيونية، لكن (هاري ترومان) اعطى دفعاً تجاه انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين حيث لعبت اصوله الدينيةدوراً في ذلك فكان يؤمن بالعقيدة التدبيرية[٥٣].

وفي خضم انغماس اميركا بحرب فيتنام، والشعور بمرارة الهزيمة الذي كان يهيمن على الجميع جاء نصر اكتوبر١٩٦٧م لـ(اسرائيل) فقام اتباع القدرية التدبيرية امثال القس (جيري فولويل) بالترويج لفكرة ان الله قد تدخل لصالح اسرائيل في هذه الحرب، فالله يريد منها ان تحصل على اراضي العرب،وان قدر اميركا ورضا الله عليها يكون على وفق مساندتها لاسرائيل

فالله يبارك لاميركا لانها تقف الى جانب اسرائيل، والله اعطى بركته لاسرائيل وان من الواجب كمسيحيين دعم اليهود ومساندتهم، فالله يبارك لمن يقف الى جانب اسرائيل، حسب هذه الادعاءات الصهيونية[٥٤].

كما انهم يومنون ان افضل عمل يقوم به الفرد المسيحي للتقرب الى الله هو الاسهامات المادية والمعنوية لتحقيق ارادة الله باعادة اليهود الى فلسطين تمهيدا لعودة المسيح، هذه العودة المسبوقة بتهديم الاثار الاسلامية[٥٥] كلهافي فلسطين ومسبوقة ايضا بالحدث الاهم[٥٦]، وهو الحرب الكونية الثالثة التي ستدمر كل شي وهي معركة (هرمجيدون)[٥٧].

استحوذت هذه المعركة على اهتمام عدد كبير من الساسة الاميركان ولعل ابرزهم كان الرئيس الاسبق (رونالد ريغان)[٥٨] الذي طالما كان محاطاً بمن يعتمدون المنظور التدبيري والذي يميل بشدة لاسرائيل، و سمع (ريغان) وهو يردد بانه يؤمن بانه من الجيل الذي سيشهد (هرمجدون)[٥٩]، مستنداً كغيره من الصهاينة المسيحيين لنص الكتاب المقدس في انجيل (متى) الذي يتحدث عن مجيء المسيح بعد شدة تمر بها البشرية، لذا تمسك بفكرة ان مجيء المسيح سيسبقه حرب نووية تحرق الاخضر واليابس، لذا كان التشجيع مستمراً من قبل هذا التيار للساسة الاميركان للتحضير لهذه المحرقة بغية الانتصار فيها والنجاة من اهوالها، فهي على وفق رأيهم قادمة لا محالة[٦٠].

المؤمنون بهذه العقيدة قاموا بثمانينيات القرن الماضي، وفي عهد (ريغان) بتكوين ما يسمى نادي السبعمائه الذي يتكون من شخصيات بارزة في المجتمع الاميركي من رجال الدين، ورجال اعلام ومالكي عدد كبير من محطات التلفزة الاميركية، يجتمع هؤلاء السبعمائه واحياناً بحضور (ريغان) ويصلون لان يكون زمانهم هو زمان هذه المعركة، وكان من ابرز اعضاء هذا النادي مستشار ريغان الديني (فولويل)[٦١].

اما سيناريو هذه المعركة على وفق ترتيب القس (س. س. كريب) بان تقوم دولة اسرائيل بعودة اليهود من الشتات واعادة بناء الهيكل وتتعرض اسرائيل لهجوم كبير من قبل (الكفار) الذين يقودهم دكتاتور يخضع له كل العالم ومن ثم وقوع المعركة النووية في اثناء المعركة يرتفع

المؤمنون بالمسيح فوق السحاب فوق ارض المعركة فلا يصيبهم سوء وبعد سبعة ايام وانتهاء المعركة، ينزل المسيح للارض ومعه المؤمنون به، اما دور اليهود في هذه المعركة فهم كبش الفداء اذ سيذبح كل اليهود في هذه المعركة ماعدا (١٤٤) الف منهم من الذين يؤمنون بالمسيح وسيسيحون بالارض مبشرين بالمسيح[٦٢].

فما الدعوة لعودة اليهود لفلسطين التي ابتدأت منذ عهد (لوثر) الى يومنا هذا الا ليقدموا لمحرقة (هرمجيدون)، فهذا التقديس لليهود من قبل هذا التيار يحمل بداخله كرهاً شديدا لليهود حيث يذهب انصار هذا التيار الى ان اليهود انكروا المسيح وصلبوه وان عودتهم لفلسطين ما هي الا جزء لتصحيح الخطأ الذي فعله اليهود، وهذا جزء من عملية تطهيرهم من آثامهم فهم مركز الخلل ولايتم الخلاص الا بتصحيح مركز الخطيئة لذا سيكون وعلى وفق عقيدتهم، المسيح الدجال يهودياً من سوريا يقود ملوك الارض ضد المسيح، والمسيح سيقود الجيش المضاد وسينتصر المسيح وسيذبح اليهود فهم القربان الذي سيقدم للرب وبعدها سيبدأ الالف السابع السعيد يحكم المسيح العادل[٦٣].

ولهذا كان انصار هذا التيار في الادارة الاميركية يعدون أي محادثات سلام او تبشير بالسلام هو هرطقة وضد كلمة الله وضد المسيح، فنجد ان من ابرز شخصيات هذا التيار رجل الدين (جيمي سواغارت) من اعضاء نادي السبعمائه كان من المعارضين للمحادثات والاتفاقات مع الاتحاد السوفيتي وكان يشجع على التسلح والانسحاب من الامم المتحدة[٦٤].

وقد ينظر الى هذه النبوءات بانها مجرد اساطير في العهد القديم ولكن عندما يكون رئيس اكبر دولة مثل (ريغان) او (بوش) الابن مؤمنين بهذه النبوءات فسيكون للموضوع بعداً آخر وعندما توزع نسخ من كتاب (هول لندسي) (آخر أعظم كرة أرضية) الذي يتحدث عن سيناريو هذه المعركة على أعضاء الكونغرس الأميركي، فسوف ينظر الى السياسة الأميركية بانها مجرد ترجمة لهذا المفهوم الإنجيلي المتهود للمسيحية[٦٥]، وهنا تكمن خطورة كون ان من يحمل هذا الفكر هم النخبة المسيطرة ذات النفوذ التي تمتلك منظمات مختلفة، ووسائل

اعلام، مراكز ابحاث استراتيجية، فهم باختصار يديرون الراي العام في اميركا فعندما يسيطر امثال من يحمل افكارهم عن هذه النهاية المأساوية للعالم على يد أقوى دولة في العالم، فحتماً ستكون النتائج غير مبشرة بالخير[٦٦].

لقد كان لهذا التيار دور في جعل دولة تتألف من ثلاثة ملايين نسمة، مارداً عسكرياً أكبر من المانيا وانكلترا وفرنسا واقوى من احدى وعشرين دولة عربية مجتمعه مضافاً الى ترسانتها العسكرية الضخمة من الاسلحة الاميركية[٦٧].

ويعتقد هؤلاء ان كل ما تقوم به اسرائيل من قتل وغزو هو جزء من ارادة الله وتحقيقاً لنبوءات الكتاب المقدس، لذا نجد ان العلاقة بين اسرائيل واميركا تتعدى حدود المصالح فالعلاقة قائمة على اساس ديني يستند لنبوءات الكتاب المقدس[٦٨].

ولتقوية هذا التحالف بشكل اكبر اصدر البابا عام **١٩٦٥**م بياناً يبرأ به اليهود من دم المسيح، وعلى وفق البيان فان المسيح ولد جسدياً من الشعب اليهودي وهذا يجعل من الكنيسة مدينة بذلك لليهود وان المسيحيين قد تسلموا تراثهم من الشعب اليهودي[٦٩].

وهذا التيار الصهيوني المتطرف وجد له معارضين، واول من عارض افكاره وخطواتهم العملية لتحقيق هذه النبوءات هم الجماعات اليهودية المتدينة التي تعد ان مكاسب الصهيونية جميعها ومن ضمنها وعد (بلفور) انما هي نابعة من قوى شيطانية مقيمة في الارض المقدسة وان هذه القوى تحاول ان تعيق قدوم (المشياح) واعاقة تحقيق معجزة الخلاص، وذلك عن طريق تقديم الاغراءات لشعب اسرائيل على صورة خلاص، فالخلاص الحقيقي سياتي عن طريق المشيئة الالهية وحدها وان أي محاولة بشرية للتأثير عليها سوف تاتي بفعل عكسي لذا آمن حاخامات هذا التيار بان على اليهود الامتناع عن أي فعل او نشاط جماعي للاستيطان في فلسطين لان نفي اليهود جاء بمشيئه آلهية وكذلك ستكون العودة[٧٠]

اما جهة المعارضة الاخرى لهذا التيار الصهيوني فتتمثل بكنائس الشرق التي ترى ان هذه النزعة الصهيونية في الفكر المسيحي، احدث تسلل للمنطقة وتعدها تجديفاً على الايمان المسيحي، فحوالي اثني عشرة مليون مسيحي في ارجاء الشرق الاوسط سوادهم ينتمي

للكنيسة الشرقية او الارثذوكسية القديمة، الانجليكان، البروتستانت، جميعهم يسعون لوحدة الكنيسة اعتبروا ان الصهيونية المسيحية اختزال خطير للايمان المسيحي من شأنه المضي قدماً من اجل دولة او شعب واحد على حساب غيره(٧١).

اما حجة تلازم عودة المسيح بعودة اليهود، كنائس الشرق ترفض هذه الفكرة وتؤمن بعدم قدرة أي شخص على تحديد موعد هذه العودة فهي عودة لا يعرف وقتها الا الله اما النبوءات التي في العهد القديم فهي نبوءات حدثت في وقت مضى ولا مجال لحدوثها في الوقت الحاضر، وان الجدار الفاصل بين اليهود والامم الاخرى قد ازيل فلم يعد هناك فرق بين اليهود والامم الاخرى الكل متساوون امام الله وليس لليهود معاملة خاصة فلا وجود لهم كشعب فقد ذابوا مع بقية الشعوب(٧٢).

وبعد الاطلاع على ابرز افكار تيار الصهيونية المسيحية وتحالفها الديني السياسي مع اسرائيل قد يطرح تساؤل الى أي مدى تهتم اسرائيل فعلا بتحقيق نبوءات تتحدث عن ذبح يهود العالم لتحقيق الالفية السعيدة للمسيحيين، فما هي نهاية هذا التحالف عند الاخذ بنظر الاعتبار الغايات المختلفة والمتناقضة للطرفين كليهما فالصهيونية المسيحية تسعى لحرب يذبح فيها اليهود جميعهم ككبش فداء تمهيدا للنزول الثاني للمسيح الذي لا يؤمن به اليهود اصلاً، اما اليهود فينتظرون (المشياح) الذي سيقتل كل العالم وينتقم لليهود ويجعل كل البشر عبيدا لهم فالنهايات التي يسعى لها كل طرف تعارض الاخرى وبالاحوال كلها كلا الطرفين يدعون الى التمسك والتقيد بحرفية الكتاب المقدس وتفسيراته ونبؤاته التي تنص احدى اياته "لقد وضعت امامك الحياة والموت والبركة واللعنة، لذلك اختاروا الحياة التي تعيشونها انتم واحفادكم " وهذا بالتأكيد يناقض النهاية الدموية التي يسعى اليها الطرفان كلاهما.

المبحث الثاني

مارتن لوثر وموقفه المعادي لليهود

هذا المبحث سيستعرض موقف مناقض تماماً لموقفه السابق تجاه اليهود، وهذا الامر الذي ظل موضع تساؤل وتحليل عن اسباب هذا التناقض والتغيير الكبير في موقفه تجاه اليهود وهو ما سيتم التطرق له في هذا المبحث.

المطلب الاول: اليهود في المجتمعات الاوروبية

كان الوصف النمطي لليهود في التقاليد المسيحية هو ذلك الكائن الغريب الخطير، الفاسد والمفسد والمتمرد على قيم المجتمع المسيحي وعقائده وقناعاته(٧٣).

جاء هذا الوصف نتيجة صراع عنيف آمتد لقرون طويلة ويعود ذلك لرفض اليهود نبوة المسيح وانكارهم بانه المسيح الذي ينتظرونه، ومن ثم تقديمه للمحاكمة رغم ان المسيح نفسه ومن آمن به كانوا اصلا من اليهود(٧٤).

في الحقبة الاولى للمسيحية منع اليهود المسيحيين من الصلاة في الهيكل، وازاء ذلك بدأ المسيحيون بالتجمع في بيوت احدهم للصلاة من اجل عودة المسيح، الا ان الكهنة اليهود لم يقفوا مكتوفي الايدي لخشيتهم من ظهور المسيحية كدين متميز عن اليهودية ولمواجهة ذلك بدأت اعمال القتل ضد المسيحيين حتى فر من القدس من نجا منهم من الموت، في تلك الحقبة ظهرت الكنيسة كمقر لانتظار عودة المسيح(٧٥).

الا انه ابتداءً من القرن الثاني اذ بدأت المسيحية تظهر وبشكل اوضح بانها ديانة لا تخص اليهود وكلما تكرس هذا الملمح في المسيحية، كلما زاد العداء لليهود اكثر وصارت صورتهم الاكثر رواجا كانهم حلفاء للشيطان واعداء المسيح، ما عزز شعور العداء ضدهم(٧٦).

كما كان قيام (قسطنطين) بالاعتراف بالمسيحية كدين رسمي للامبراطورية بداية الوبال على اليهود، بسببما اضمرته الانفس من كره ضدهم على مدى عشرات بل مئات السنين قد بدأ يفعل فعله، فاصدر (قسطنطين) وبتأثير من الكنيسة امراً بتسليم أي يهودي يهاجم الكنيسة او يتطاول على السيد المسيح وفي عهد (ثيودوسيوس) تم اقصائهم عن الدوائر الرسمية للامبراطورية وحرم عليهم بناء معابدهم او الاختلاط بالمسيحيين(٧٧).

فاصبح احتقار اليهود امراً متجذراًفي تطور البناء اللاهوتي المسيحي، فلطالما عدتهم الكنيسة الشعب الشاهد، والشعب السلف، و الشعب القاتل للمسيح، لذا يستحق هذا الشعب العقاب و ان ينكد عليه عيشه وان تنزل به كل الاجراءات التمييزية وتدابير العزل التي كانت تقرها المجامع الكنسية المتلاحقة(٧٨)، فلعبت الكنيسة دورها بتاجيج الكراهية ومشاعر الغيض والعداء تجاه اليهود اذ مارست دعاية مبرمجة لتزيد من وطأة الضغط والاذلال النازلين باليهود مستندة في دعايتها على نصوص واضحة ومفهومة من الانجيل تدعم وصف اليهود بقتلة (الرب) وقتلة الانبياء وابناء قتلة الانبياء(٧٩) فلطالما رددت الكنيسة على اسماع روادها آيات من انجيل متى على لسان المسيح الذي وصفهم بالعميان الذي لا امل من هدايتهم(٨٠).

اما الوجود اليهودي في اوروبا فيعود الى تاريخ هدم بيت المقدس على يد القائد الروماني (تيطس) وطردهم منها في حدود العام سبعين بعد الميلاد، فتوجه اليهود الى اوروبا، الا انه ومنذسقوط الامبراطورية الرومانية تعرض اليهود للاضطهاد على يد ملوك اوروبا بالدرجة الاولى اما سبب ذلك فيعود بشكل أساس الى سيطرة المرابين اليهود على اقتصاديات البلاد ومن ثم كانت المجامع الدينية التي تعقد لتناقش احيانا وضع اليهود كانت توصي باستمرار حملات اضطهادهم كوسيلة لكسر نفوذهم وسيطرتهم في اوروبا واصدار قرارات للحد من الربا الفاحش، اما ما قام به المجمع المسكوني الرابع فانه قرر ان يسكن اليهود في احياء خاصة عرفت باسم (الغيتو)(٨١).

واسهمت الكنيسة في العصور الوسطى في تكريس فكرة ان اليهود هم المسؤولون بشكل مباشر عن صلب المسيح، مستندتًا لما تذكره الاناجيل الاربعة من تفاصيل عملية اعتقال المسيح ومحاكمته وصلبه والاهانات التي وجهت له من اليهود(٨٢).

الا ان ومنذ القرن السادس عشر وما بعده كان حقبة تجدد في حياة اليهود في شرق اوروبا اذ وجدوا موطناً آمناً نسبياً لهم، اذ اتيحت لهم فرصة التمتع بالحرية الدينية والحكم الذاتي الطائفي بشكل لم يكن يوما متاحا لهم، اذ ضمت روسيا في نهاية هذا القرن اجزاء من بولندا

وبالتحديد الاجزاء التي يعيش فيها اليهود التي كانت تتمتع بامتيازات كبيرة، الا انه في عهد القيصر (نيقولا) عام ١٨٥٥م تم الغاء الاجزاء التي تمتعت بحكم ذاتي يهودي، ومنع اليهود من استخدام المسيحيين كخدم لهم ومنعوا من الزواج قبل سن الثامنة عشرة، ومنعوا من استخدام لغتهم في المخاطبات الرسمية وتم اخضاعهم لادارة الدولة وفرض الخدمة الإلزامية لثلاثة اضعاف مدتها الاصلية(٨٣).

اما العام ١٨٨١م فقد جلب العداء المنظم لليهود في روسيا على اثر مقتل القيصر (الكسندر الثاني) والذي اتهم اليهود بعملية اغتياله، فصدرت تشريعات مست حياتهم وركزت على فرض القيود على نشاطهم الامر الذي ادى الى الهجرة الى الولايات المتحدة الاميركية وانحاء اخرى من اوروبا(٨٤).

وفي المدة نفسها أي في القرن التاسع عشر تفجر شكل آخر لهذا الخلاف ليصل الى الانقسام الكبير للعالم بين الآريين وهم العرق الرفيع العريق والساميين وهم العرق الادنى الوضيع بحسب من كان يروج لاختلاف وتمايز الاعراق، وجد العرق السامي تجسيداً له باليهود، فنجد ان البغضاء ضد اليهود قد اكتسبت في القرن التاسع عشر بعداً جديداً، فمن جوانب الطيف السياسي، الفلسفي، كلها تجسد صورة اليهودي واليهودية واحدا من المنابع الرئيسية لكل شعور نفسي بالضيق (٨٥).

وتعزز هذا الشعور بالتحديد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اذ ظهرت الادبيات العلمية التي تبحث في جذور الشعوب من منطلق التقدم والتاخر، ما دفع لظهور نزعات عنصرية معادية لشعوب معينة، وهذه النزعات كانت قائمة اصلا على البحث العلمي من هذا التوجه كانت النازية المعادية تقوم على الماهوية البايولوجية والعنصرية التي تهدف الى الحط من مكانة اليهود اذ نظر اليهم من خلال مجهر البحث العلمي البيولوجي اذ بحثت عن العناصر الجينية العرقية لليهود المسؤولة عن مرتبتهم الوضيعة في سلم البشرية(٨٦).

ويعود الى هذه الدراسات والبحوث العلمية ظهور مصطلح (معاداة السامية) الذي ميز بين العرق الآري والسامي ويمكن ان نذكر ان هذا المصطلح قد ظهر بالتحديد في المانيا حيث ساعد النشاط اليهودي في مجالات الحياة كلها الى اثارةضغينة الالمان ضد اليهود[٨٧].

كما نلحظ انه قبل النازية ومنذ ايام (بسمارك) انشئت جمعية بدعم منه لمعاداة الساميةحيث جمعت ٢٥٥ الف توقيع يطالب بطرد اليهود وقامت مظاهرات مؤيدة لهذا المطلب وحصل الحزب المعادي للسامية في البرلمان الالماني في انتخابات عام ١٨٣٥م خمسة عشر مقعداً[٨٨].

هذه الكراهية ضد اليهود وعلى مر العصور لا تعود الى عقيدتهم وانما يرجع الى سلوكهم واخلاقياتهم تجاه الشعوب التي حلوا معها، فهو سلوك لا يتغير يقوم على استغلال واحتكار النشاط الاقتصادي والسيطرة على التجارة، اما الممارسة التي كانت المعلم البارز الذي اثار كراهيتهم فهو الربا الذي لم يكن يجرؤ الفرد المسيحي في العصور الوسطى على ممارسته فاستغل اليهود ذلك واحتكروا هذا النشاط وكونوا ثرواتهم من هذا النشاط[٨٩].

ونتيجة لذلك اتهموا بان نشاطهم الاقتصادي ادى الى افقار البلدان الاوروبية التي عاشوا فيها في الوقت الذي حرص اليهود على اظهار نجاحهم المالي باقتناء البيوت الفارهة والعربات الفاخرة وهذه العوامل عززت من الانطباع بوجود غزو واستيلاء يهوديين وبشكل كامل على مجتمعات محددة وبشكل خاص المانيا اذ تفوقوا هناك على غيرهم كمقاولين وممولين، في الوقت الذي كان فيه الفرد الالماني يعاني من الصدمات الاجتماعية والاقتصادية الناتجه عن الحداثه، فكان اليهودي هو الضحية التي عليها دفع ثمن هذه الصدمات وصار هدفاً للضغائن في اوروبا بشكل عام والمانيا بشكل خاص، الى الحد الذي تفجر بظهور النزعة الاكثر معاداة للسامية متمثلة بالحزب النازي الذي كان مشبعا بروح معادية للسامية دفع ثمنهاالآلاف من اليهود في انحاء اوروبا التي وصلها النازيون[٩٠].

المطلب الثاني: لوثر واكاذيب اليهود

اولا: لوثر ومعاداة اليهود

يذهب البروتستانت في كل مكان الى تصوير (لوثر) بانه الصادق المحترم، المبتهج الذي قاتل روما الفاسدة والمفسدة، بطل المانيا والبروتستانت هذا هو نفسه الذي يوصف بانه المرعب،غيرالصادق، (لوثر) المعادي للسامية والعصبي المزاج وهي صورة غير مألوفة في مخيلة الصغار البروتستانت الذين نشأوا على صورة (لوثر) مثال الرجولة الالماني[٩١].

وتبدو قساوته واضحة في كتاباته المعادية للسامية وبشكل خاص كتابه الذي نشره قبل وفاته بعامين أي في العام ١٥٤٤م، والذي يحمل عنوان (عن اليهود وأكاذيبهم) هذا الكتاب لم يدع مجالاً لأحد من أتباعه اللوثريين (غير المتفقين معه في هذه النظرة المعادية للسامية) الا بان يبرروا هذا الموقف وما ورد في كتابه، سوى ان تقدم السن والأزمات النفسية التي عانى منها قد تكون هي سبب في هذا التوجه، محاولين اخفاء هذا الجانب المحرج لمذهبهم[٩٢].

اما التبرير الذي قد يفسر هذا العداء المفاجئ لليهود في سني حياته الأخيرة، هو ان (لوثر) بعد ان فشل في تحويل اليهود للمسيحية، صار ينظر اليهم بعدهم شياطين، وخوف (لوثر) من الشيطان الذي كان بالنسبة لـ(لوثر) له وجود جسدي وحقيقة طبيعية قد اضر بمشاعره تجاه اليهود[٩٣].

اما محتوى الكتاب (عن اليهود واكاذيبهم) فلقد تدرج في افكاره فأولاً يطلب من المسيحيين بعدم الدخول في جدال عقائدي مع اليهود لانه متيقن بانه لايمكن اصلاحهم بالنصح بل على العكس كلما نصحت اليهود كلما ازدادوا سوء[٩٤].

فيبدأ (لوثر) وبشكل مسهب بالسخرية من دعوة (الشعب المختار) الذي ولد كشعب أعلى في الأرض من ابراهيم واسحاق وربيكا الى آخر سلالتهم، هذا النسب النبيل جعلهم ينظرون الى بقية الشعوب "الغوييم" على أنهم ليسوا بالبشر فهم لا يملكون دم اليهود النبيل[٩٥].

فدعوة (الشعب المختار) والمفضل هي الرواية المفضلة لليهود التي يكررونها دائماً في معابدهم ومدارسهم، فهم الامة المقدسة المولودون من آباء مقدسين، ودمهم النقي ماهو إلا دم الأنبياء والرسل، هذه المزايا التي اختصهم الله بها (حسب زعمهم) أوجبت عليهم ان

يشكروا الله عليها، لذا فهم يبدأون صلاتهم بتقديم الشكر لله بان خلقهم من بني اسرائيل وليس من الغوييم(٩٦).

ولكي يعمل (لوثر) على اغاضة اليهود وتكذيب دعواهم يلجأ الى حجج عدة في هذا الشأن فيعمد لتذكيرهم بانه مضى ما يقارب ١٥٠٠ عام منذ ان قام القائد الروماني (تيطس) بطردهم من القدس وتدمير معابدهم وتسويتها بالارض، هذا التذكير الصغير سيصيبهم بالغضب لان ذلك يعد دليلاً قاطعا على ان ما حدث ما هو الا نتيجة ذنب اقترفوه، فالله ليس بهذه القسوة حتى يعاقب شعبه المختار بلا رحمة هكذا، تعدياً وظلماً، فلا بد من سبب لهذا العذاب والشتات الذي لم تحدد مدته(٩٧).

كما يستشهد (لوثر) بما ورد على لسان المسيح الذي طالما نعتهم بأبناء الأفاعي والشياطين وبأنهم لا يستحقون ان يكونوا أبناء لإبراهيم، فسلوكهم وأخلاقهم تجعلهم أبناء للشيطان وليس ابناء ابراهيم(٩٨).

اما اكثر ما يزعج (لوثر) هو الحديث المستمر والتفاخر المستمر بالنسب المقدس رغم انه لا يستنكر التفاخر بحد ذاته بل انه يستغرب ان اليهود لم يلتفتوا الى توبيخ أنبيائهم لهم بالعهد القديم بسبب هذا التفاخر وان أنبيائهم رفضوا هذا التفاخر بنسبهم وبدمهم المقدس في حين أنهم كأمة لم يعد لديهم إيمان او روح(٩٩).

(لوثر) الذي تحدث سابقا عن ارض الميعاد وبان اليهود هم الشعب الموعود بها، تراجع عن كل مواقفه وأقواله في هذا الكتاب وعاد ليسقط صحة هذا الوعد فالله قد اسقط هذا الوعد في اللحظة التي أخرجهم منها الملك البابلي الذي اقتادهم أسرى وحطم كل شي وبهذا لم يعودوا الشعب المختار الا انه من غضب الله عليهم جعلهم ما زالوا يتفاخرون بالمزايا التي فقدوها(١٠٠).

يؤمن (لوثر) ان اليهود لن يطيقوا كلماته كما لم يطيقوا من قبل نصح الأنبياء وتوبيخهم لهم، وذلك لان كل ما بناه اليهود من امتياز ومكانة لهم على بقية الشعوب يقوم على التفاخر

والادعاء بانهم الشعب المختار فمتى ما تنازلوا عن دعوى (ابناء ابراهيم) انهار كل شي وانهار مديح الذات المدحوض أصلا في العهد القديم ويصبح ادعائهم افتراض لا أساس له[١٠١].

ويقدم (لوثر) نصيحة لليهود بهذا الخصوص هو ان يخرجوا الغرور من قلبهم وان يتوقفوا عن التبجح بأنهم أبناء الله لان صلاتهم وتبجحهم هذا ما يزيد الله الا غضبا عليهم وأنهم متى ما تخلوا عن كل ذلك فان الله الغفور سوف يغفر لهم كل ما سبق وسيعوضهم عن الدمار الذي لحق بهم[١٠٢].

أما الجزء الثاني من كتابه فيركز فيه (لوثر) على الإساءات التي وجهها اليهود للمسيحيين بشكل عام وعلى الألمان بشكل خاص، ويبدأ (لوثر) من تأكيده بأنه لطالما سمع اليهود يطلقون على المسيح لقب (الشرير المشنوق)، فاليهودي مجبول بكراهية المسيحي، فهم يلقمون كراهيتهم منذ طفولتهم وان التفكير بأنهم قد يصبحون أفضل ويتخلصون من حسدهم وشرهم وغرورهم هو وهم، ويضيف (لوثر) بان اليهود هم العدو الثاني للمسيحيين بعد الشيطان، فلا يوجد أكثر مرارةً وعنفا وسما منهم الا الشيطان نفسه[١٠٣] .

ويحذر (لوثر) المسيحيين بعدم الانخداع بالزينة الروحية التي يظهرونها فداخل كل يهودي يوجد شيطان حقيقي وعدو للكنيسة التي يريدون سحقها تحت أقدامهم، فهم يلعنون ويدينون الإنجيل والوصايا العشر، ويكرر (لوثر) تحذيره للمسيحيين بعدم الانجرار وراء إغواء اليهود فهم كالعميان والأعمى لا يقود إلا الى الضلال فلا يمكن للفرد ان يتعلم منهم عملا صالحا، فهم يملكون الوصايا العشر والشريعة ولكنهم لا يفهموها فلا يتصور أي فرد مسيحي ان اليهودي سيقوده للصلاح[١٠٤].

ثم يبدأ (لوثر) بتعداد الأذى الذي أصاب المسيحيين بسببهم، فلقد اتهمهم بحوادث تسميم للآبار وسرقة الأطفال وما قاموا بذلك الا لكرههم الشديد للمسيحيين، وفي المقابل يلقي الضوء على المعاملة الحسنة التي يتلقونها في مدنهم وسماح الأمراء لهم بالعمل بالتجارة وممارسة الربا الذي عده الانتهاك الأكبر والإساءة الأشد التي تعرض لها المسيحيون والذي

عده سرقة اشد مما يقوم به قطاع الطرق، فهم عن طريق الربا يسرقون أطناناً من الذهب بلا تعب ولا جهد ولا وجه حق(١٠٥).

وبسبب الربا يصبح الرعايا المسيحيين عرضة للإساءة والانتهاك، حيث تستنفذ خيراتهم حتى يصيرون كالشحاذين، اما اليهود والذين يعدهم (لوثر) أجانب يصبح كل شي لهم، في حين انه يجب ان لايكون للأجانب شي وان كل ما يملكوه يجب ان يصير للألمان لأنه نتاج سرقتهم لهم بالربا الذي يمارسوه والذين يشكرون الله عليه فهم بالربا يحصلون على المال ويصبحون أصحاب الأرض اما الألمان فيصبحون الخدام الأذلاء لهم(١٠٦).

ويشتكي (لوثر) في احد فقرات هذا الكتاب من الشيطان الذي جاء بهم الى اوروبا من القدس ويؤكد مراراً ان شوارع اوروبا وطرقها مفتوحة امامهم لكي يعودوا الى القدس، فلما يشتكي اليهود باعتبار انفسهم اسرى في اوروبا ولا احد من المسيحيين يحتجزهم، بل ان كل فرد مسيحي مستعد لان يقدم هدية لكل من يسهم في ان تتخلص اوروبا منهم، فهم كالوباء والطاعون والعبء الثقيل والفال السيء، وما من عاقل يمنع هذه المآسي والآفات من ان تغادر بلاده(١٠٧).

أما الجزء الأخير في الكتاب فهو برنامج عمل لكيفية التعامل معهم، أول شي يوصي بان لا يسمح لهم بالتملك وان لا يسكنوا في بيوت بل في اصطبلات كما يعيش الغجر والأسرى فهم يشتكون دائما بأنهم يعيشون كالأسرى في أوروبا والأسرى لا يعيشون في بيوت، ورأى من الضرورة أن يصادر تلمودهم وكتبهم ويمنع رجال الدين من التعليم فهم أصل البلاء(١٠٨).

كما يجب أن يحرم عليهم استخدام الطرق الخارجية ليضلوا في بيوتهم أسرى وان يحرم عملهم بالربا الذي يجعل منهم سادة والألمان عبيد، ويوصي بان تتم معاملتهم كما يعاملون في فرنسا واسبانيا اذ يقدم هناك اليهود كشف بحساباتهم التي اكتسبوها بالربا ومن ثم يتم تقاسم هذه الثروة مع السلطات(١٠٩).

ويقدم (لوثر) تبريراًلتلك الوصايا وهي ان طريقة التعامل التي يوصي بها هي الطريقة الوحيدة التي ستجبرهم على مغادرة المانيا، فوجودهم والعيش معهم سيكون كمن يشارك في

كفرهم وجحودهم، فالفرد المسيحي الذي يعيش معهم يشارك الشيطان الذي يسكن في داخل كل يهودي، لذا يجب إخراجهم من المانيا، ليذهبوا لأرضهم وأملاكهم في فلسطين اذ يكونواأحراراً في الكفر والكذب واللعن والسرقة، وممارسة الربا، وهذه الطريقة هي التي ستحفظ للفرد المسيحي إيمانه(١١٠).

والا فان الله سوف يسال الفرد المسيحي فيما لو كان قد سمع بكفرهم وأباطيلهم ولم يحرك ساكناً وسيحاسب المسيحيين على فسح المجال لليهود بذلك اللعن والكفر، وحتى لو لم يخرجوا من المانيا يجب غلق معابدهم التي يذكر فيها الله والمسيح بالسوء، ولو ان (لوثر) يظل يفضل خيار مغادرتهم لالمانيا(١١١).

ثانياً: اثر لوثر في النزعة اللاسامية للحزب النازي

لو اراد شخص ما ان يجد كبش فداء ليلقي عليه تبعات ما أصاب المانيا من شرور وعلى مدى قرون من حروب وتقسيم وبشكل خاص ما حدث فيها أثناء الحرب العالمية الثانية، فلن يكون كبش الفداء هذا سوى (لوثر) ليس (بسمارك) ولا حتى (فردريك الثاني) او حتى(ادولف هتلر) بل (لوثر)، يدفع بهذا الاتجاه من يعتقد ان (لوثر) هو المصدر الذي استوحى منه النازيون أفكارهم المعادية للسامية(١١٢).

ومهما يكن من دوافع (لوثر) في كتابه فانه شكل دليل لآتهامه بان كتابه كان المصدر الذي استخدمه النازيون في تبرير ممارساتهم المعادية للسامية، اذ عمد النازيون الى توزيعه في أثناء الهولوكوست(١١٣).

هذا الكتيب ازدهر في بداية القرن العشرين مع صعود (هتلر) والحزب النازي اللذين احترما (لوثر) وبالتحديد بسبب أفكاره المعادية لليهود كما تظهر الإجراءات التي مارسها النازيون في وقت لاحق تأثرا كبيرا بالإجراءات التي نصح (لوثر) اتباعها كطريقة لإخراجهم من المانيا(١١٤).

اذ سحبت منهم المواطنة الألمانية، ففي عام ١٩٣٥م صدرت مجموعة قوانين وتشريعات تعرف المواطن الألماني بانه من يحمل الدم الالماني ومن ينتمي للقومية الالمانية ووفق هذا التعريف فان اليهود ليسوا مواطنين فهم لا يحملون الدم الألماني، كما منعوا من العمل في وظائف محددةبل وطردوا من وظائفهم سواء أكانوا محامين، أطباء، صحفيين اوحتى موسيقيين،كما منعوا من استخدام طرق المواصلات، والوسائل العامة، ومقاعد المتنزهات، كطريقة لعزلهم عن بقية المجتمع(١١٥).

فما ان صعد الحزب النازي عام ١٩٣٢م حتى بدأ اليهود بعد سنة من ذلك يشعرون بالضغط الموجه لوجودهم فبدأت عمليات قتلهم ولا سباب مختلفه وفعلا بدأت هجرة اليهود من المانيا الى فلسطين اذ هاجر ما يزيد على الخمسة الآف في تلك الفترة كما تلتها هجرات اخرى الى اوروبا وبالتحديد لبريطانيا وهجرات اخرى لاميركا(١١٦).

اما الذي حدث في مدينة **Kristallnacht** والذي عرفت بحادثة تكسير الزجاج، فكان يعد تطبيقا للاجراءات التي سبق ونصح بها (لوثر) اذ هاجم النازيون بيوت اليهود ومعابدهم وتم حرقها وتكسير نوافذها، لذا تم ربط هذه الإجراءات المعادية للسامية بالنصائح التي سبق وقدمها (لوثر) لاجبار اليهود للخروج من المانيا حيث عد مشتركا بالجريمة بطريقة غير مباشرة (١١٧).

كما اتهم احد القادة العسكريين النازيين خلال محاكمات نورنمبورغ (لوثر) بانه مصدر افكارهم المعادية للسامية وراى ضرورة ان يكون موجودا في قفص الاتهام معهم وذلك لكون النازيين عدوه مثالا لهم وكانوا ينظرون اليه كمحارب الماني عظيم، فلقد عد نسخة مماثلة لـ(هتلر) فكلاهما الماني وكلاهما وطني وكلاهما يحملان مشاعر معادية لليهود، فعلى الرغم من ان (لوثر) لم يكن في نورنمبورغ الا ان النازيين عدوه مذنبا بقدرهم(١١٨).

قد يكون من المبالغة ربط (لوثر) بشكل مباشر بـ(هتلر) فلا يمكن تتبع خط مباشر يربط بينهما، فـ(هتلر) كان مشبعاً بفكر زمانه المتسمة بالغلو وبالصور المنمقة فيما يخص

الأعراق والأجناس، وان هذا الأمر لم يكن خاصا بالمانيا بل حتى في فرنسا التي كانت منارة الثقافة[١١٩].

وكما تبرز في هذا المجال عدة أسماء يمكن اعتبارها الأساس الذي استقى منه (هتلر) فكره عن الأعراق كما استقى منها موقفه المعادي للسامية ومن هذه الأسماء الفرنسي (جوزيف ارثر) التي تحدثت نظرياته عن العرق البشري وكيف اثر اختلاط الأعراق الى فقدان بعض الشعوب لبعض صفاتها الأصلية، وكذلك يبرز في هذا المجال أيضا الأميركي (ماديسون جوانت) (١٨٦٥-١٩٣٧)،الذي تحدث عن اضمحلال العنصر الكبير(العرق الأبيض) وعن تراجع الحضارة الأميركية نتيجة التزاوج مع اليهود الوافدين من أوروبا، فكان ينظر بقلق لهذا الاختلاط مع اليهود[١٢٠].

أمثال هذه الكتب كانت مترجمة ومنتشرة في المانيا بل وجدت في مكتبة (هتلر) الكتب التي تتحدث عن اختلاف الأعراق وبالتحديد كتاب الانكليزي (ستيوارت تشامبرلين) الذي قسم الأعراق في المانيا الى قسمين الأول هم الجرمان وهم الذين يتجسد بهم الله، اما العرق الآخر فهم اليهود والذين يتجسد بهم الشيطان[١٢١].

واما بالنسبة لـ(هتلر) فقد ذكر في كتابه (كفاحي) تأثره بآراء شخصين فيما يخص ما يحمله من فكر معادي للسامية، اذ وجها فكره واهتمامه لليهود ولدورهم الخبيث في أوروبا بشكل عام والمانيا بشكل خاص وهم كل من (كارل يوجر)(١٤٨٨-١٩١٠) وهو رئيس بلدية فينا والآخر هو (جورج شونير) (١٨٤٢-١٩٢١) عضو البرلمان النمساوي، فـ(هتلر) بنفسه يعد هذين الشخصين هما المصدر الأساس الذي نهل منه مواقفه المعادية للسامية وهي المواقف التي كانت دوافعه سياسية بالدرجة الأولى[١٢٢].

فلطالما عد الالمان ان لليهود دور في هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى، ما فجر موجة من العداء للسامية تزايدت بعد الحرب وتمخض عنها تأسيس عدد من الأحزاب المعادية للسامية وفي مقدمتها الحزب النازي[١٢٣]، الذي عد ان المشاكل السياسية والاقتصادية التي سببها اليهود لألمانيا هي احد أسباب هزيمتهم في الحرب، كما اتهم اليهود بوقوفهم الى جانب

الأنظمة الأوروبية المتحالفة ضد المانيا أثناء الحرب وبعد الحرب وبالتحديد بعد صعود النازية في المانيا، أما بالنسبة لـ(هتلر) الذي كان يعد ان اختلاط العرق السامي مع الرومان واليونان هو احد أسباب التدهور الحضاري الذيأصاب الحضارتين، فلقد اعتقد ان اليهود(١٢٤) عرق لا يحمل اي موهبة سوى الكذب والشعوذة في تعامله مع الاخرين واعتبرهم بانهم العرق الاغبى، فلا يمكن ان يكون لهم نتاج في الادب او الفكر ولا حتى الموسيقى او اي نشاط يكشف عن عبقرية، وهم مدينون بنجاحهم لغباء ضحاياهم، وانه لو لم يتفضل عليهم العرق الاري وقام بتنظيفهم وتهذيبهم لبقي اليهود قذرين لدرجة انهم لا يستطيعون ان يفتحوا اعينهم، وان هذه الحقيقة يجب ان تدركها اوروبا، وسوف يدركها الأوروبيون متى ما توحدوا، لذا يؤكد (هتلر) ان اليهود سيعملون جاهدين على ان لا يتوحد الأوروبيون لان اليهودي لا يمكن ان يعيش بدون ان يتكل على الأوروبي ويعيش كالعلائق التي تتغذى على دماء الاخرين(١٢٥).

الخاتمة

في التقييم النهائي لافكار مارتن لوثر حول اليهود سواء المؤيدة او المعارضة لهم يمكن توضيح النقاط التالية:-

١- لم يكن دافع مارتن لوثر من موقفه تجاه اليهود نابع من موقف سياسي اي لم يكن له اي رؤية سياسية حول الوجود اليهودي في اوروبا .

٢- الدوافع الاساسية للوثر في مواقفه تجاه اليهود كانت لاهوتيه خالصة، فهو في موقفه الاول المؤيد لهم حاول كسب تاييدهم له اولا مع ما سيشكله اليهود من زخم لحركته الاصلاحية الوليدة في مواجهة الكنيسة الرومانية وثانيا عبر لوثر في موقفه الاول المؤيد لهم عن امله باهتداء اليهود الى المسيحية ومن ثم عودتهم الى فلسطين باعتبار ذلك شرطاً اساسياً لعودة المسيح التالية فلوثر كان يمهد الطريق لعودة المسيح الثانية ليس الا، وحتى في موقفه المعادي لليهود لم يكن الا تعبيرا عن خيبة امله من اهتدائهم الى المسيحية ورغم ذلك لم يجزم في عدم هدايتهم بل ترك الامر لعودة المسيح الذي سيتكفل بهدايتهم.

٣- اما الاراء التي تحدثت عن اثر فكر (لوثر) المباشر على فكر (هتلر) فانها قد تطرح تساؤلاًعن مدى الجدية التي يمكن الحديث فيها عن مسؤولية (لوثر) فيما ارتكبه النازيون،

فكما تم استعراضه من تاريخ اليهود في اوروبا، فان المشاعر المعادية لليهود لم تكن وليدة العصور الوسطى او ارتبطت بظهور كتاب (لوثر)، بل هي متغلغلة بالوجدان المسيحي الذي طالما حمل اليهود مسؤولية صلب المسيح، ف(لوثر) لم يكن اول من حمل هذه الافكار بقدر ماكان اول من جاهر بها وتحدث عنها بعنف وبشكل فظ وهذا هو الاسلوب الذي تحدث به (لوثر) دائما مع اعدائه من غير اليهود حتى، كما انه لم يتحدث عن معاداة للسامية بل عن معادات لليهود ومعتقداتهم وما ورد في التلمود، كما لم يدعُ لقتل اليهود بل بإخراجهم وإعادتهم الى فلسطين وهو حتى في دعوته هذه فهو يتصرف كرجل دين انجيلي يحاول ان يهيأ الظروف للعودة الثانية للمسيح والتي كما سبق ذكره ستكون مع عودة اليهود الى فلسطين ورغم عنف خطابه الموجه لليهود في كتابه الا انه في نهاية الكتاب لم يغلق الباب تماما بوجه اليهود بل ينصحهم بعدة نصائح ليتصالحوا مع الله ونجده في ختام الكتاب يتحدث عن امله بان تتم هداية اليهود بعد العودة الثانية للمسيح وان ذلك سيتم بنعمة الله ورحمته الواسعة .

الـهـوامــش

(١) سهيل قاشا، اليهود وعقدة بابل، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،٢٠٠٨، ص ص ٤٩ ،٤٧.

(٢) ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهوديه، جذورها في التاريخ الغربي،ترجمة احمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة،٩٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،١٩٨٥،ص ١٢٦.

(٣) المصدر نفسه،ص ٢٧.

(٤) راجح ابراهيم مُحَمَّد البساتين، المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة،دراسة عقدية تحليلية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية ، ٢٠٠٧،ص ٤١ .

(٥) غريس هالسل،النبوءة والسياسة، الانجيليون العسكريون في الطريق الى الحرب النووية، ط٧، ترجمة مُحَمَّد السماك، دار النفائس، بيروت،٢٠٠٨،ص٥٦.

(٦) ريجينا الشريف، مصدر سبق ذكره ،ص٢٤.

(٧) عفيف البهنسي، تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار، الهيئة العامة السورية للكتاب،وزارة الثقافة ، دمشق،٢٠٠٩،ص٢٥.

(٨) راجح ابراهيم مُحَمَّد البساتين، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥.

(٩) عفيف البهنسي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣.

(١٠) فاخر احمد شرتيح،المسيحية الصهيونية، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الاسلامية،كلية اصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، غزة، ٢٠٠٥،ص ٧.

(11) **Martin Luther,Jesus Christ was born a Jew,Net work,Saint Joseph's university, Institute for Jewish-Catholic Relations,P.1.www.ccjr.us/dialogika-resources/…/272- Luther-1523.**

[12]Ibid.,P.2

[١٣]هذه المكانة التي اعطاها (لوثر) لليهود في كتابه وتفضيله المبادي اليهودية البسيطة على تعقيدات اللاهوت الكاثوليكي ،كانت سببا بان يتهمه اعداءه من الكاثوليك باتهامه بانه يهودي او انه راعي لليهود. ريجينا الشريف، مصدر سبق ذكره،ص٢٥.

[14]Martin Luther,op.cit.,P.2.

[15]Mohameden Ouldmey, Geopolitical And prosect of Zionism, An Article in press in the Journal political Geography ,Department of Geography and thropogy, Indiana ,state university ,U.S.,2003,P.3.

[١٦] ريجينا الشريف، مصدر سبق ذكره ،ص٣٣.

[17]Martin Luther ,op.cit.,P. 7.

[18]Ibid.,P.7.

[١٩]ريجينا الشريف، مصدر سبق ذكره ،ص٣٣.

[٢٠]فاخر احمد شرتيح، مصدر سبق ذكره، ص٤٣.

[٢١]راجح ابراهيم مُحَمَّد البساتين، مصدر سبق ذكره، ص ص٤٥،٢٨.

[٢٢]ريجينا الشريف، مصدر سبق ذكره،ص٢٠.

[23]Mohameden Ouldmey, op.cit.,P.2.

[٢٤]مُحَمَّد السماك، مصدر سبق ذكره، ص٣٥.

[٢٥]الالف السابع من عمر البشرية وهو الالف الذي سيحكم به المسيح بعدل وسلام وذلك بعد نزوله الثاني الى الارض هذا النزول الثاني مشروط حسب الفكر البروتستانتي بعودة اليهود من شتاتهم الى فلسطين . ريجينا الشريف، مصدر سبق ذكره،ص٢٣.

[٢٦]المصدر نفسه،ص٢٩.

[٢٧]المصدر نفسه،ص٢١.

[٢٨]راجح ابراهيم مُحَمَّد البساتين، مصدر سبق ذكره ، ص٦٦.

[٢٩]المصدر نفسه، ص ص ٦٣،٦٢.

[٣٠]ريجينا الشريف، مصدر سبق ذكره،ص ص ٣٠-٣١

[٣١]مُحَمَّد السماك، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٩.

[٣٢]سعد بن علي مُحَمَّد الشهداني،الجذور الاعتقادية للارهاب في الاصولية الانجيلية، بحث مقدم لجامعة ام القرى، مكة المكرمة ،٢٠٠٥،ص ٩.

[33]Mohameden Ouldmey, op.cit.,P.3.

[٣٤]ريجينا الشريف، مصدر سبق ذكره،ص٣٢.

[٣٥]راجح ابراهيم مُحَمَّد البساتين، مصدر سبق ذكره،ص٦٩.

[٣٦]حسن زعرور،سيف داوود خداع واضاليل،دار الرسول الاكرم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،١٩٩٨، ص ٣٥٢.

[٣٧]سهيل قاشا، مصدر سبق ذكره،ص ٥١.

[٣٨]غريس هالسل،النبوءة والسياسة، مصدر سبق ذكره ،ص١٥٧.

[٣٩]سهيل قاشا، مصدر سبق ذكره ،ص٥٢.

[٤٠]غريس هالسل،مصدر سبق ذكره ،ص١٥٩.

[٤١]مُحَمَّد السماك، مصدر سبق ذكره، ص٧.

[٤٢]راجح ابراهيم مُحَمَّد البساتين، مصدر سبق ذكره، ص ص٧٣،٧١.

(٤٣)سعد بن علي محمد الشهداني،مصدر سبق ذكره، ص ص١٥،١٢.

(٤٤)محمد السماك، مصدر سبق ذكره، ص٥٥.

(٤٥)سعد بن علي محمد الشهداني،مصدر سبق ذكره ،ص١٣.

(٤٦)حسن زعرور، مصدر سبق ذكره ، ص٣٥٣ .

(٤٧)سعد بن علي محمد الشهداني،مصدر سبق ذكره،ص١٦.

(٤٨)سهيل قاشا، مصدر سبق ذكره ،ص٥٤.

(٤٩)يحيى أحمد الكعكي، في الاصولية الصهيونية،دار النهضة العربية، بيروت،٢٠٠٥،ص٣٨.

(٥٠)ريجينا الشريف، مصدر سبق ذكره، ص ص١٢٦،١٢٥.

(٥١)سعد بن علي محمد الشهداني،مصدر سبق ذكره، ص ص١٨،١٧.

(٥٢)منصور عبد الحكيم،من يحكم العالم سراً؟،اصابع خفية تقود العالم، المجموعة الاولى، سلسلة حكومة العالم الخفية،دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠٠٥ ،ص ص١٤،٨.

(٥٣)ريجينا الشريف، مصدر سبق ذكره، ص ص١٤١،١٢٨.

(٥٤)المصدر نفسه،ص ص ١١٢،١٠٤.

(٥٥)اتباع هذا التيار المتطرف اشد الناس تاييدا لخطوة هدم المسجد الاقصى،حيث يعملون على رسم واعداد مخططات لانشاء الهيكل الجديد في معهد خاص (بالقدس) كما يعملون على تجميع الاموال وايداعها في حساب خاص باسم (مشروع الهيكل). محمد السماك ، مصدر سبق ذكره،ص٧٢.

(٥٦)المصدر نفسه،ص ص٧١،٦٢.

(٥٧)المصدر نفسه،ص ص٧١،٦٢.

(٥٨)لطالما سعى ريغان لتقوية الترسانة الاميركية من باب ايمانه بضرورة تقوية الحق من اجل ان يربح الصراع الاخير. غريس هالسل، مصدر سبق ذكره،ص٨٦.

(٥٩)سهيل قاشا، مصدر سبق ذكره،ص٥٧.

(٦٠)محمد نضال الحافظ، الحقيقة بين النبوءة والسياسة،التوراة،الاناجيل،القران الكريم،نوستراداموس، ط٢،دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق ، ٢٠٠٨،ص ٢٣٧.

(٦١)يحيى أحمد الكعكي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.

(٦٢)محمد السماك، مصدر سبق ذكره ، ص ص٨٣،٨٢.

(٦٣)سعد بن علي محمد الشهداني،مصدر سبق ذكره،ص ص ٥٩،٥٨.

(٦٤)غريس هالسل، مصدر سبق ذكره ،ص٥٥.

(٦٥)لطالما طرح تساؤل عن مدى ارتباط سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق بما ورد ذكره في العهد القديم في سفر الرؤيا من الدعاء بخراب (بابل) والشماتة بها،فلقد اعتقد هؤلاء المتطرفون ان الحرب في العراق هي من ضمن الخطة التي تسبق عملية النزول الثاني للمسيح وان تقسيم (بابل) لثلاث ولايات كما ورد في العهد الجديد في رؤيا يوحنا ما هي الا احد الاشارات التي تسبق هرمجيدون، لذا عشية دخول القوات الاميركية عام ٢٠٠٣مدخل العشرات من المبشرين المنتمين لهذا التيار لاقناع العراقيين ان احتلال بلدهم هو تدبير آلهي يجب ان يقبلوا به كما يعتقدون ان المعارك التي حدثت عند ضفاف نهر الفرات عند الاجتياح الاميركي للعراق ماهي الا تجسيد لنبوءة وردت في العهد الجديد سفر يوحنا الاصحاح ٩ الآية ١٤. سعد بن علي محمد الشهداني،مصدر سبق ذكره، ص ص٩٠،٨٩.

(٦٦)المصدر نفسه،ص ٤.

(٦٧)غريس هالسل،النبوءة والسياسة، مصدر سبق ذكره ،ص٢٢٤.

(٦٨)منصور عبد الحكيم،مصدر سبق ذكره،ص ١٢.

(٦٩)راجح ابراهيم محمد البساتين، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨.

(٧٠)نبيه بشير،عودة الى التاريخ المقدس، الحريدية والصهيونية،قدمس للنشر والتوزيع،دمشق ،٢٠٠٥،ص١٨٥.

(٧١)سهيل قاشا، مصدر سبق ذكره،ص ص٦٢،٦١.

(٧٢)راجح ابراهيم محمد البساتين، مصدر سبق ذكره، ص٩٦.

(٧٣)جورج قرم،تاريخ اوروبا وبناء اسطورة الغرب، ترجمة رلى ذبيان ، دار الفارابي ،بيروت ،٢٠١١،ص ٥٨.

(74)**Daphne M.Olsen,Luther and Hitlar:A liner connection between Martin Luther and Adolf hitler,s anti-semtism with a nationalistic foundation , A research submitted in partial fulfillment of the Requirements for the degree of master of liberal studies ,Rollins College ,Hamilton Holt School ,Florida,2011,P.16.**

(٧٥)حسن زعرور، مصدر سبق ذكره ،ص ١٩٨.

(76)**Daphne M.Olsen,op.cit.,P.37.**

(٧٧)حسن زعرور، مصدر سبق ذكره،ص٢١٤.

(٧٨)جورج قرم، مصدر سبق ذكره،ص٣٠٠.

(٧٩)كما استخدمت الكنيسة لهذا الغرض ولزيادة الكراهية ضدهم بعض النصوص الواردة في التلمود والتي تذكر بان السيد المسيح يغلي بالجحيم وتامر هذه النصوص بحرق أي نسخة من الانجيل تقع بيد أي يهودي..**Israel Shahak,op.cit.,P.20.**

(٨٠)راجح ابراهيم محمد البساتين، مصدر سبق ذكره، ص٣٤.

(٨١)منصور عبد الحكيم،مصدر سبق ذكره ،ص٢٠.

(٨٢)راجح ابراهيم محمد البساتين، مصدر سبق ذكره، ص٣٤.

(٨٣)حسن زعرور ، مصدر سبق ذكره، ص ص٢٧٢،٢٧١.

(٨٤)مروان فريد جرار،جهود البارون اليهودي مورس دي هيرش في تخفيف معاناة اليهود في شرق اوروبا وروسيا ،برنامج التربية،قسم العلوم الاجتماعية، جامعة القدس المفتوحة،٢٠٠٩،ص ٤٠٨.

(٨٥)جورج قرم ، مصدر سبق ذكره ،ص ٢٩٥.

(٨٦)نبيه بشير، مصدر سبق ذكره ،ص ١٦٢.

(٨٧)يحيى أحمد الكعكي، مصدر سبق ذكره،ص ٥٣.

(٨٨)المصدر السابق، ص ٥٤.

(٨٩)سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، منشورات جامعة بيروت،١٩٧٧،ص ٨٧.

(٩٠)جورج قرم ، مصدر سبق ذكره ، ص ص٣٢٣،٣١٩.

(91)**Daphne M.Olsen,op.cit.,P.13**

(92)**Emily Paras ,The Darker side of Martin Luther ,An investigation submitted to Illinois Wesleyan University, 2008,P.3.**

(93) **Daphne M.Olsen,op.cit.,P.15.** (94)**Martin Luther, the Jews And their Lies, published by Christian Nationalist Crusade, California U.S.A, 1948, P.9**

(95)**Ibid., P.12**

(96)**Ibid., P.13**

(97)**Jason Martin, An Abandonment of Hope ; Martin Luther and the Jews, research submitted to Divinity school, Birmingham, Alabama, U.S.A, 2011 ,P.4.**

[98]Ibid.,P.4.
[99]Martin Luther ,the Jews And their Lies, op.cit.,P.14.
[100] Ibid.,P.17.
[101] Ibid.,P.16.
[102] Ibid., P.15
[103] Daphne M.Olsen,op.cit.,P.17.
[104]Jason Martin, op.cit., P.5.
Martin Luther ,the Jews And their Lies, op.cit.P.28.[105]
[106]Ibid.,P.30.
[107]Ibid.,P.35.
[108]Daphne M.Olsen, op.cit,P.17.
[109]Martin Luther ,the Jews And their Lies, op.citP.46.
[110]Ibid.,P.P.57,60.
[111]Emily Paras , op.cit.,P.1
[112]Ibid., P.1.
[113]Daphne M.Olsen,op.cit.,P.30.
[114]Emily Paras , op.cit.,P.1
[115]Martin Gilbert ,The Holocaust , The Jewish Tragedy ,Fontana,Glasgow,P.6.
[116] Daphne M.Olsen,op.cit.P.30.
[117] Ibid.,p.42.
[١١٨]جورج قرم، مصدر سبق ذكره ، ص٣٠٥.
[119]Robert. J. Richards,Was Hitler A Darwinian? An investigation submitted to The University of Chicago, 2009,P.
[١٢٠]جورج قرم، مصدر سبق ذكره ، ص٣٠٦.
[121]Robert. J. Richards,op.cit.,P.P.43,42.
[122]Martin Gilbert ,op.cit.,P.4.
[123] Manfred Gerstenfeld, The Abuse of Holocaust memory, Distorations and Response, Jerusalem center for public Affairs ,Institute for Global Jewish Affairs,Palestine, 2009,P.33.
[١٢٤]يتحدث هتلر عن اسباب انتشار الفساد والرشوة في رومانيا ويقدم عدة نصائح للساسة الرومانيين للنهوض بهذا البلد ولكنه بعد هذه النصائح يستدرك قائلا بان كل ذلك لا يعد له أي فائدة ما لم يقوموا بالخطوة الاهم وهي التخلص من اليهود فهو يشبه الامر كمن ينظف الحظيرة بوجود الخنازير. Hugh Trevor-Roper,Hitlers table talk 1941-1944 , his private conversations, trans by Norman Cameron Enigma book, New Yor,2000,P.68
[125]Hugh Trevor-Roper,op.cit.,P.118.

Martin Luther and the Jewish problem

dr.Mahdea saleh hasan
As.le.Diana huseein Ali.

abstract:

Jewish problem occupied in Western thought privileged position of being the problem continued in European history , starting from a Roman commander (Titus) in the First century AD to expel the Jews from Jerusalem and the destruction of Jerusalem, after this date the Jewish presence began in Europe, as Jews carried arrivals to Europe with them the desire to restore past glories and the desire to achieve religious vows in the folds of their holy books , this desire pushed Jews by engaging issue of the purity of their race and the preservation of the sacred descendants on according to the texts of holy books that talked about being the chosen favorite of God people , what caused them , and to achieve this desire of isolation and exclusion others and do not integrate with the societies in which they have solved them, which resulted in that coped Europe and then America with as

strange object does not want to integrate in the society , which one of the reasons the expulsion campaigns form and even killings, has been attributed to this closed society many crimes , but was seen as a "bad omen that brought the wrath of the Lord of the disaster and plague , which was gripped Europe between now and then to display operations and the exclusion of slaughter between now and then " .
He's (Luther) positions contradictory ideas about Jews , for each position , including the motives and reasons , these attitudes and ideas have been interpreted and construed in sort contradictory streams of thought found in the ideas of Luther support possible her later that it consider one of the intellectual roots that came from in terms of its position and its ideas about Jews .